الباب الثالث

التطريز فى العصر العثمانى

الفصل الأول : تاريخ التطريز فى العصر العثمانى

الفصل الثانى : المواد الخام

الفصل الثالث : أنواع الغرز

الفصل الأول

تاريخ التطريز فى العصر العثمانى :

انتشرت زخرفة المنسوجات بالتطريز فى العصر العثمانى فى آسيا الصغرى وفى أملاكها فى حوض البحر الأبيض ومنها مصر وكذا فى شبه جزيرة البلقان بدرجة كبيرة وتطور عظيم يدعو للإعجاب .

ولم تكن الموضوعات الزخرفية المطرزة تختلف كثيراً عن الموضوعات المألوفة فى المخمل والديباج .

وتذكرنا مطرزات آسيا الصغرى بما أنتجته بروسة من الأقمشة المخملية والموشاة وكذا الخزف من حيث استخدام أشكال الأزهار فى موضوعاتها الزخرفية سواء رسمت محاكية للطبيعة أو محورة عنها

وأقدم أمثلة للأقمشة التركية المطرزة استخدمت فى صناعتها غرزة الرفو (Darning Stitch) على نسيج الكتان واستخدمت أيضاً الغرزة البارزة (Couched stitch) .

على أن المنسوجات المطرزة فى العصر التركى وإن كانت معروفة بصفاتها المميزة المعروفة جيداً إلا أنها لم تأخذ حظها من الدراسة الوافية ، قد نجد فى بعض الأحيان ذكراً للتطريز التركى ولكن لا يمكن اعتبارها دراسات جدية . وأول ذكر واضح لها ذلك الذى ذكره بيلون ، الذى يعتبر أول من لاحظها خلال القرن السادس عشر وعلق على جمالها وصنعها النفيس. وقد ذكر أنه يوجد سبب واحد لوجودها وهو تلك الحقيقة الثابتة أن السيدة التركية كانت تعيش فى عزلة فى الحرملك ، وكان لديها القليل الذى تعمله ، ولذلك كانت تقضى وقتها فى شغل الإبرة .

والتطريز التركى كان يعمل على قماش جميل وناعم منسوج من الكتان ، وعلى كتان مخلوط بكمية معينة من الحرير خاصة على طول الجوانب أو على الأطراف ، أو على ما يمكن استخدامه فى التجفيف ، أو على القطن . وهذه تقع فى أربع مجموعات مستقلة

المناديل : (kerchiefs) وعادة ما تسمى بشكير (peshkir) كما فى اللوحة (رقم ٣٣ ، رقم ٣٤ ، رقم ٣٥ ، رقم ٣٦) وهذه يمكن استخدامها لأى غرض من الأغراض المناسبة لاستعمال المناديل كفوط المائدة ، وفوط الحفلات التى يستخدمها الضيوف المرموقون لتجفيف أيديهم بعد الأكل لوحة (رقم ٣٧ ، رقم ٣٨) ويمكن استخدام هذه المناديل كعصائب للرأس .

وهناك (شيلان) تركية وفوط ذات حواف معظمها من القرن الثامن عشر والتاسع عشر كما فى اللوحة (رقم ٣٩ ، رقم ٤٠) .

الأربطة المستطيلة : (Long Sashes) اللوحة (رقم ١٢ ، رقم ٤١) وهى تستخدم للزينة ونسيجها يشبه منسوجات المجموعة الأولى . وهى مستطيلة الشكل وضيقة وتستخدم كأحزمة للوسط ، وتستخدم ستائر للنوافذ ، وأحياناً كانت تربط حول رباط الرأس .

العصائب أو (البقجة) : (Covers) وهى منسوجات ذات أحجام متوسطة وتكون عادة مربعة الشكل كما فى اللوحة (رقم ٤٢ ، رقم ٤٣ ، رقم ٤٤ ، رقم ٤٥) . وكانت السيدات تلفها بإحكام حول الجبهة وتتدلى على جوانب وخلف الرأس . ويمكن استخدامها أيضاً فى لف أى شئ ثمين كهدية يمكن تقديمها ، أو خطاب من شخصية لها قيمتها أو مستندات ذات قيمة . واستخدمت فى تطريز هذا النوع غرزة الرفى المزدوجة بخيوط الحرير وخيوط الفضة ، وشاع استخدام الزهور فى زخرفتها ولاسيما الورد ، كما استخدمت أحياناً رسوم المساجد والأشجار .

الملاءات المستطيلة والعريضة :

وتحتوى على ثلاثة أو أربعة عروض من الكتان مخاطة معاً ومطرزة (بكنارات) عريضة فى الأطراف كما فى اللوحة (رقم ٢٢ ، رقم ٤٦) وهى تسمى عندنا (ملاية سرير) وقد استخدمت لهذا الغرض . ولكن لا توجد هناك أدلة قاطعة أنها استخدمت للأسِّرة ولذلك فإنه من الممكن أن تكون قد استخدمت لأغراض أخرى غير التى ذكرناها .

فقد ورد فى كتاب الرحالة الأوروبيون فى وصف وجبة غذاء تركية أن الضيوف جلسوا القرفصاء فى شكل دائرة على وساند على الأرض وفى وسطهم وضعت قطعة كبيرة من القماش وبعد ذلك وضعت منضدة خشبية دائرية على مستوى منخفض وسط قطعة القماش ، وهذه الملاءات بأطرافها المطرزة يمكن استخدامها بسهولة كمفارش المناضد هذه . ولما كان الغرض منها لازال غير معروف نهائياً فإنه لازالت تحتفظ باسمها التقليدى (ملاءة سرير) ويقول الأستاذ (Wace) ولكن مع الاحتفاظ بالمعلومات السابقة التى حصلنا عليها فأننا ما زلنا فى حاجة ماسة إلى معرفة الغرض منها . والمنسوجات المطرزة من هذا النوع مصنوعة من الحرير الجميل عادة ، والغرزة المستعملة أساساً هى غرزة الرفى المزدوجة لوحة (رقم ٤٧) ، وإن كانت بعض القطع قد طرزت بغرزة الحشو . وبما أن كلا الوجهين يمكن استخدامه فقد رؤى أنه من الضرورى أن يطرزا بغرزة يمكن أن يكون لها نفس التأثير على كلا الوجهين : الأمامى والخلفى . ومن الواضح أن تكون غرزة الشلالة المزدوجة ، غرزة الحشو المسطحة أكثرها ملاءمة للإستخدام السابق وقد أضاف الأستاذ (Wace) إلى الغرز السابقة غرزة الرفى المزدوجة .

وإنى أوضح هنا أن غرزة الرفى المزدوجة فى اللوحة (رقم ٤٧) لا يكون لها نفس التأثير على كلا الوجهين ، ولكن هذا التأثير يكون فى غرزة الرفى المتطورة والمعروفة بالإنجليزية باسم (Needle Weaving) أى النسج بالإبرة وتتضح فى إطار اللوحة (رقم ٤٦) . وعادة ما يكون حرير التطريز غنياً عن أن يطعم بخيط ذهبى . وهذه تمثل أقدم المنسوجات المطرزة والتى تحتوى على خيوط من الفضة المذهبة . أما التطريز المتأخر فقد استخدم فيه الخيوط المعدنية المذهبة ، أو خيوط من النحاس الأصفر المذهب ، وأحياناً أخرى تستخدم خيوط مطلية بالفضة . والمنسوجات المطرزة القديمة من هذا النوع من المحتمل أن يرجع بعضها إلى القرن السابع عشر ، ولكن معظمها يرجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ومن العناصر الزخرفية السائدة لزخرفة المناديل والفوط (رشاشات) الورد (شكل ٩ ، ١٠) ، لوحة (رقم ٢٢) التى انتشرت على نطاق واسع حتى أنها أصبحت شارة

مميزة للفن التركى .

أما التطريز الحديث فقد تأثر بفنون غرب أوروبا ونجد ذلك ممثلاً فى الرسومات الزهرية وخصوصاً مجموعات الأزهار المربوطة بأشرطة ، وهى من المستحدثات الفرنسية التى ظهرت فى القرن الثامن عشر ثم انتشرت فى القرن التاسع عشر لوحة (رقم ٣٤) .

ومن الزخارف الأخرى التى كانت سائدة فى التطريز التركى رسوم العمائر الدينية وبجانبها نبات السرو لوحة (رقم ٤٨) وهذا يظهر فى الصورة التى زخرفت برسم لجامع محاط بالأشجار والأزهار التى يبدو من بينها نبات السرو ، والمنظر يوحى بمنزل وحديقة على ضفاف البسفور منحدرة نحو البحر .

ويظهر فى الزخارف التركية المطرزة رسم عمائر تشبه المنازل أو الجوسق وهذا ما نراه فى بعض سجاجيد الصلاة التركية التى تعرف باسم (مزارلك) أى سجاجيد الأضرحة وزخارف مساحتها تتألف من رسوم وأضرحة وأشجار سرو ويوجد بها منظر لأشكال الجواسق التى وجدت فى المنسوجات المطرزة التركية ، ومن المرجح أن هذا النوع من السجاد كان يصنع فى مدينة قولا على الخصوص .

وهناك زخارف عناصرها زهور متموجة قد تكون من أصل غربى . وهذه الزخارف نجدها ممثلة تمثيلاً واضحاً على اللوحة (رقم ٤٩) وزخارفها متأثرة بالأسلوب الأرمينى ومن المحتمل أن تكون صنعت بواسطة أحد الأرمن .

ويذكر السيد برى (Mr. Berry) فى مقاله عن الفوط التركية : على الرغم أنه من الصعب نسبة أية قطعة منها إلى إقليم معين فقد أصبح لها طابع مميز تكاد لا تخطئه العين وانتشرت انتشاراً واسعاً داخل البلاد التركية . وبالنسبة للظروف التى من أجلها قد طرزت هذه المنسوجات فإنه من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات دقيقة توضح هذه الظروف .

والمناديل المحلاة بزخارف الجوامع وأشجار السرو والمطرزة بالحرير والخيوط المذهبة وبطريقة جميلة معروفة تجارياً بشغل بروسة . ومن المحتمل أن يكون عدد كبير منها قد صنع على شواطئ البسفور بدليل ما تحكيه الرسومات المطرزة عليها

لوحة (رقم ٤٨) ومن المحتمل أيضاً أن تكون من صنع بروسة .

أما الستائر والأغطية فمطرزة بغرزة الرفى كما فى اللوحة (رقم ٥٠) أو بالغرزة البارزة كما فى اللوحة رقم (٥١) . وفى كلا النوعين من الغرز نجد أن إحداهما تحتوى على أقواس مدببة بالرمان والخرشوف كما فى اللوحة (رقم ٥٢ ، رقم ٥٣) . والأخرى تحتوى زخارفها على مجموعات من السيقان العمودية والمتموجة وتحمل أوراق أشجار وأزهار فى وضع بالتبادل ، وفى تناسق يخلق تأثيراً متكرراً كما في اللوحة (رقم ٥٤) .

ولم تكن المنسوجات المطرزة تصنع بطبيعة الحال فى مصانع الأقمشة المنسوجة التى كانت تصنع فى بروسة وما حولها من الأقاليم ، بل كانت تصنع بواسطة نساء يعملن فى المنازل .

ولما لم يكن فى استطاعة عامة الشعب الحصول على ما يريده من منتجات الحرير والذهب التى تنتجها أنوال بروسة . ونتيجة لذلك فإن السيدات صنعن لأنفسهن ومن الحرير والكتان منسوجات مطرزة بزخارف مشابهة لتلك التى صنعت فى بروسة . ومثل هذه المنسوجات المصنوعة فى المنازل كانت رخيصة وفى حدود إمكانيات أى شخص توفرت لديه الأقمشة المحلية والوقت الكافى للتطريز . فالتطريز كما هو معروف أكثر بساطة وأكثر سهولة من الناحية التطبيقية عن الأقمشة المنسوجة من الحرير والذهب .

والنوع القديم جداً من هذه المنسوجات المطرزة ولاسيما الذى يشبه رسومات الحرير المنسوج والقطيفة يظهر أنه أسلوب يتصل بأسلوب الغطاء الدائرى لوحة (رقم٥٥) وهذا الأسلوب يظهر أنه كان مستعملاً منذ أوائل القرن السادس عشر ، فقد عثر فى اسطنبول على "ملاءة سرير" مطرزة بهذه الطريقة ومؤرخة بتاريخ حكم مراد الثالث .

وفى القرن السادس عشر ظهر أسلوب أكثر تطوراً وألوانه متباينة لوحة (رقم ٥٤) أخذ أسلوبه الزخرفى من زخارف منسوجات الديباج والدمقس وهى تشبه إلى حد كبير الزخارف الموجودة على حُلل بايزيد الثانى .

والتطريز لون من أجمل الألوان فى الشغل التركى من هذا النوع لأن الألوان قوية ومتوازنة تماماً ، والرسم فاخر فى التخطيط ، وشغل الإبرة لا يبارى .

وتحتوى اللوحة (رقم ٥٦) على (رشاشة) الورد التى كانت مستعملة من قبل فى منسوجات الديباج والقطيفة ذات الزخارف .

ومن أنواع الغرز المتطورة فى التطريز التركى الغرز المسطحة (Laid) والبارزة (couched) إما على الكتان ، أو الحرير الملون أو الأطلس . وهذان النوعان من الغرز يستعملان فى تطريز الرسوم النباتية ذات السيقان المتموجة الشبيهة بزخارف المنسوجات الغنية بالحرير والذهب .

ويلاحظ أن زخارف نسيج أرضيات الأطلس المطرز تقلد تماماً زخارف الأطلس المنسوج . وتمتاز الغرز المسطحة (Laid) والغرز البارزة (Couched) بأنها تصلح لتطريز الخطوط الأفقية . ولقد كان الاتجاه إلى أن هذا النوع من التطريز يرجع إلى القرن السادس عشر والذى تنسب إليه الأقمشة المنسوجة من هذا النوع ، ولذلك لا يمكن أن تكون واحدة من القطع الموجودة من هذه المجموعة من المنسوجات المطرزة سابقة على هذا التاريخ . بل لابد وأن ترجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

والتطريز التركى فيما عدا تطريز مجموعة المناديل والبشاكير هو فى الواقع تقليد لزخارف الأقمشة المنسوجة إلى حد كبير ، ولذلك فمن المحتمل أن يعتبر التطريز أقدم فى التاريخ من الأقمشة المنسوجة من الحرير والذهب .

وفى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر كانت حقائب الكتب والمحافظ الجلدية تصنع وتطرز فى تركيا للزائرين البريطانيين والتجار الذين يفدون عليها ، وكانت أحياناً تصدر إلى انجلترا ، وهناك نموذج مطرز لدوق قلعة نيوكاستيل (سنة ١٦٩٣ - سنة ١٧٦٨) .

وموضع على اللوحة (رقم ٥٧) نموذج لحقيبة كتب ، كما توجد نماذج أخرى طرز عليها أسماء أصحابها وتاريخ صناعتها .

الفصل الثانى

المواد الخام :

أما عن المواد التى استعملت فى التطريز فى العصر العثمانى فهى كثيرة سنتناول كل منها على حدة .

الكتان :

لاشك أن الكتان هو النبات الوحيد الذى تعتبر أليافه أقدم الألياف التى استعملت فى صناعة الغزل والنسيج منذ أقدم عصور مصر التاريخية ، وليست ألياف التيل كما يطلق عليها البعض .

وتدل دقة بعض قطع النسيج الإسلامى على أن المصريين قد وصلوا إلى درجة عظيمة فى استنبات أجود أنواع الكتان وإعداده إعداداً صحيحاً لعملية الغزل ثم غزله بطريقة مكنتهم من إيجاد خيوط بدرجات غاية فى الدقة ساعدتهم على إنتاج مثل هذه القطع الدقيقة .

وقد أكثر كتاب وعلماء علم النبات فى العصور الحديثة عن زراعة الكتان وطريقة إعداده لعملية الغزل والتبييض وما إلى ذلك من العمليات اللازمة لنسجه . ومن أهم هؤلاء الكتاب ابن العوام ، فقد جاء فيه : الكتان نبات مشهور فى جميع البلدان يحمل حباً لطافاً منبسط رقيقاً لونه إلى الحمرة وهو من الغلات الصيفية وهو نبات مصرى . وكذلك يوافقه من الأرض ما يشبه أرض مصر وهى أرض يخالط ترابها رمل . ويستطرد ابن العوام فى طريقة زراعة الكتان فيقول ويقلع الكتان إذا اصفر وفيه بقية رطوبة ، ثم يقلع بالغدرات ويبسط بسطاً خفيفاً مفروشاً على الأرض ليجف ويغطى رؤوس بعضه بأصول بعضه لكى لا تأكل الطيور زريعته وينقى حينئذ مما يخالطه . وبعد أربعة أيام أو خمسة أيام تربط قبضاً صغاراً على قدر ما يصنع الإنسان منها الواحدة بيديه جميعاً أو بقدر ما يحيط بها حبل طوله نحو طول الذراع أو أكثر قليلاً . ويحك بين اليدين ليسقط ما جف من ورقه ويوقف للشمس على أصولها ويشد بعضها

إلى بعض محافظة على بذره لكى لا ينفتح غلفها ولاسيما النوع المعروف منه باسم الأبازيل ، فإذا جف نوعاً ما ينفض بذره بعود غليظ مثل الارزمة .

ولم تكن تلك العمليات السابق ذكرها كافية للحصول على البذر النقى الذى يستعمل فى زراعة محصول جديد ، بل هناك عمليات أخرى كثيرة ، أهمها تنفيض الكتان . وتتم هذه العملية فى موضع نقى ، فتنفض منه قبضة بعد أخرى ثم يخلص البذر فيما يخالطه من قشور وأعشاب ويغربل ويرفع إلى وقت زراعته . ويراعى أن لا تتعرض البذور إلى الرطوبة أو المطر ، ولذلك فإن الفلاح يحرص على وضعها فى أوانى فخارية أو ما يشبه ذلك .

وتعرف العملية التى تسبق عملية غزل الكتان باسم (تعطين الكتان) ويسميه ابن العوام (طبخ الكتان) وتتم هذه العملية بنقع الكتان وذلك بربط القبض السابق ذكرها حزماً متوسطة القدر ويغمس فى ماء ساكن قد نقع فيه كتان آخر قبله وتغيب تلك الحزم تحت الأرض ويلقى عليها حجارة إن أمكن أو شبه ذلك مما يمنعه أن ترتفع على وجه الماء وإذا أريد تبييض الكتان ينقع فى ماء حار ، وتترك الحزم فى الماء ليلتين أو أكثر حتى يتم نضجه .

ويستمر ابن العوام فى سرد طريقة طبخ الكتان فيقول : فإذا ما تم طبخ ونضج الكتان يبادر بعضه على بعض ويترك كذلك ليلة واحدة فإن ذلك يكسبه رطوبة وطراوة . ثم يغسل بعد ذلك مما يكون قد علق به من طين أو حباء ، وتحل الحزم ويقف القبض على أصولها كيف ما تيسر فإذا خرج ماؤها تفتح وتبسط على الأرض وتعرض للشمس وفى أثناء عرضها تقلب من حين إلى آخر حتى تجف نوعاً ما .

فإذا جف ويبس حزم الكتان تدق بعصى غليظة (مرزبة) من خشب البلوط أملس بعد وضع الحزم على حجر أملس ويستمر الدق مدة حتى تنبسط قضبانه وتلين نوعاً ما . ثم تقسم الحزم إلى مجموعات أصغر وتكسر بين اليدين وتفرك ثم ينفض هشيم سيقانه بآلة معروفة وتسمى هذه العملية بإسم (السحح) لأن الذى يخرج من كتان بعد هذه العملية يعرف باسم السحاح .

ولقد برع المصريون منذ أقدم العصور فى غزل الكتان ، أى تحويل أليافه إلى

خيوط معدة للنسيج ، فقد رأينا فى الرسوم التى وجدت فى مقابر الأسرات من الحادية عشرة إلى الثالثة عشر ببنى حسن ما سطر عليها من نقوش تمثل هذه الصناعة والأدوار التى تمر بنبات الكتان من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج . وهذه العمليات تشابه فى كثير من نواحيها تلك التى كانت مستعملة فى العصر الإسلامى وحتى العصر الحديث والتى أوردها ابن العوام فى كتابه السابق الإشارة إليه .

كذلك أورد جعفر الدمشقى فى كتابه محاسن التجارة فصلاً صغيراً عن هذا الموضوع جاء فيه أن هذه العمليات الخاصة بزراعة وتعطين وطبخ وغزل الكتان تشبه فى كثير من نواحيها الطرق اليدوية المتبعة حالياً فى مصر وأيرلندة .

أما عن طريقة غزل ألياف الكتان بعد إعدادها فيتضح لنا من النقوش المصرية القديمة أن المصريين القدماء قد عرفوا طريقة الغزل الرطب للألياف المتخشبة والتى تعد أحدث عمليات الغزل فى الوقت الحاضر للخيوط الرفيعة . أما عن طريقة عملية الغزل الرطب ، كما جاء فى كتاب خامات النسيج ، هو تندية الألياف المعدة للغزل وذلك بأن تبل اليد بلاً خفيفاً ثم تمرر على الألياف أثناء عملية (المز) حتى تتماسك الألياف بعضها ببعض . وبواسطة طريقة الغزل الرطب توصل المصريون منذ أقدم العصور إلى غزل خيوط غاية فى الدقة والانسجام .

وقد ورد فى كتب بعض الرحالة إشارات متناثرة عن المدن والقرى التى تنتج الكتان فى العصر الإسلامى ، فيذكر ابن حوقل محلة بنها وبوصير وسمنود وكلها تنتج الكتان وتصدره إلى جميع أنحاء العالم المعروف فى ذلك الوقت . وهناك مجموعة أخرى من المدن تقع إلى الغرب مثل مدينة شطا وسنهور ، كما يذكر ابن بطوطة دلاص وبوش على أنهما من أكبر المدن إنتاجاً للكتان بمصر وهما بمنطقة الفيوم . كذلك يذكر المقدسى الفيوم وبوصير ضمن البلاد المنتجة للكتان .

ومن مصر انتشرت صناعة الكتان إلى أوروبا وخاصة إيطاليا وأسبانيا وألمانيا وفرنسا وذلك فى العصور الوسطى أثر الحروب الصليبية التى كانت سبباً فى نقل الكثير من الحضارة الإسلامية وكذا الصناعات إلى العالم الغربى . ويقال أن أول قطعة من الكتان صنعت فى أوروبا ترجع إلى القرن الرابع عشر وهى من صناعة إيطاليا

ومحفوظة الآن بمتحف النسيج بسويسرا . والواقع أن أوروبا كانت تستورد الكثير من الكتان المصرى لأنها كانت تستخدمه فى الأغراض الدينية ولذلك فإن مصر كثيراً ما كانت ترسم عليه صور السيد المسيح وقصص من التوراه والإنجيل .

وإذا تتبعنا تاريخ الكتان فى مصر وجدنا أن هذه الخامة التى كانت تعتبر المحصول الأول فى اقتصاديات مصر طوال العصور القديمة والوسطى بدأ ينافسها خامات أخرى بالنسبة لصناعة المنسوجات فى نهاية العصر الفاطمى ، وهذه الخامة الجديدة هى الحرير ، ففى العصر اليونانى والرومانى كانت مصانع الإسكندرية المعروفة باسم (Gossypium) هى المصانع الوحيدة المصرح لها بصناعة الحرير الأحمر للأمبراطور اليونانى أو الرومانى .

أما فى العصر المملوكى فقد أصبح الحرير الخامة الأولى بالنسبة لصناعة النسيج ليس لأن مصر أصبحت منتجة للحرير الخام ولكن لأن مصر أصبحت هى المسيطرة على تجارة الشرق الأقصى الذى كان يأتى إلى البحر الأحمر وينتهى عند مدينة القلزم (السويس) الحالية ، ومن ثم بدأت تقل صناعة المنسوجات الكتانية وظهرت منسوجات الديباج والدمقس والأطلس والزردخان وكلها مصنوعة من الحرير . ولكن ليس معنى هذا أن النسيج الكتانى قد اختفى وإنما الواقع أنه أصبح قاصراً على أنواع معينة من المنسوجات المزخرفة التى لا يمكن أن ينافسه فيها أى نوع آخر من أنواع المنسوجات ، وهى المنسوجات المطرزة .

الصوف :

يعد الصوف ثانى خامات النسيج فى الأهمية بعد الكتان فى مصر ، وذلك فى العصر الإسلامى أما فى العصر الفرعونى فلم يكن الصوف ذا أهمية تذكر فى صنع الأقمشة . ويرجع السبب فى ذلك لعدم صلاحية صوف الأغنام التى كانت موجودة وقتئذ للغزل ، ولاعتقادهم بعدم طهارته ، لذلك فإنهم كانوا ينسجون منه ملابسهم الخارجية التى كانوا يخلعونها عندما تطأ أقدامهم حرم معابدهم .

أما فى العصر البطلمى فقد كان الصوف يلى الكتان فى الأهمية واستمر الحال

على ذلك حتى العصر الإسلامى ، فقد ورد ذكر منسوجات مصر الصوفية فى كثير من المراجع وكما هو ثابت من القطع التى وصلتنا والتى ترجع إلى العصر الإسلامى . وعندما فتح الرومان مصر تزايد الاهتمام بتربية الأغنام للحصول على أصوافها لاستعماله فى المنسوجات الفاخرة التى يلبسها علية القوم . لذلك فقد عنى المصريون عناية خاصة بتربية الأغنام ، فقد كان يتم غسلها فى فترات متنظمة ويدهن صوفها بالزيوت النقية ويمشط شعرها حتى تأتى الصوفة ناعمة . وهكذا كانت الملابس الصوفية فى العصر الرومانى غاية فى الدقة والإتقان حتى أنها حليت بالخيوط الذهبية وزركشت بالجواهر والياقوت ، كما صبغت بصبغات متعددة حتى الألوان الزاهية التى لم تكن تصلح من قبل فى الأصواف الرديئة .

ويذكر بلوتارك (Plutarch) وكذا ديودور (Dioder) أن الرومان هجنوا الأغنام المصرية للحصول على محصول من الصوف الجيد ، فقد أخذ أحد حكام الامبراطور كلوديوس قطيعاً من أغنام شمال إفريقية وهجنها بأخرى مصرية وأقام لها المراعى فى أسبانيا فأتت بأحسن أنواع الصوف وأشهرها الذى عرف فى التاريخ القديم باسم صوف (مرينوس) ، والذى انتشر فى فرنسا وانجلترا واستراليا ، بعد أن أرسل ملك أسبانيا إلى تلك البلاد هدايا من الأغنام المهجنة لملوكها . وقد بلغ من حرص ملك أسبانيا على الأغنام المهجنة أنه كان يفرض عقوبة الإعدام على كل من يهرب رأساً من هذه الأغنام إلى أى بلد آخر .

وهكذا وجد العرب عند دخولهم مصر أصوافاً جيدة لصناعة المنسوجات فصادف ذلك هوى فى نفوسهم وذلك لما نعرفه من حب العربى ساكن البادية من اهتمامه بأغنامه وتفضيله الملابس الصوفية على غيرها من الملابس المصنوعة من الكتان أو الحرير . وقد امتازت أصواف مصر بالجودة وأنها تبعث على الدفء حتى قيل أن الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان كان لا يدفء حتى يلبس برد مدينة أسيوط الصوفية . واستمرت مصر الإسلامية تعنى بالمنسوجات الصوفية فى العصر الفاطمى والمملوكى رغم دخول خامة القطن وازدياد انتشار المنسوجات الحريرية وكانت المنسوجات الصوفية منذ العصر الفرعونى من أهم الخامات التى زخرفت بطريقة التطريز واستمرت المنسوجات الصوفية المطرزة فى العصر القبطى فالإسلامى وحتى العصر العثمانى فالعصر الحديث .

وقد أولى علماء الآثار الإسلامية طريقة غزل الصوف والكتان كثيراً من اهتمامهم واتخذوا منها دليلاً لنسبة قطعة ما من النسيج إلى بلد بذاته ، فقد أجمع كل من عرض للكتابة عن الخيوط المغزولة سواء كانت من الكتان أو الصوف على أن ما يبرم منها جهة اليسار كان من صناعة مصر ويرمزون إليها بحرف (S) . وأن الخيوط التى غزلت جهة اليمين صنعت خارج مصر ويرمزون إليها بحرف (Z) . وقد استثنى من النظرية السابقة القطع التى نسجت على نول السحب والجبد (draw - loom) فى العصر القبطى واستعمل فى نسجها خيوط الصوف والكتان ونسجت بطريقة المنسوجات المركبة .

أما الدكتورة سعاد ماهر فتقول أنها بالكشف على القطع الأثرية المصنوعة من الصوف والكتان وكذا القطع المصنوعة من كلا الخامتين وجدت أن كلا البرمين وجدا جنباً إلى جنب فى القطعة الواحدة منذ أقدم العصور وحتى العصر الحديث . وإن كانت قد لاحظت أن الخيوط الرفيعة برمت جهة اليسار أما الخيوط السميكة فبرمت جهة اليمين .

الحرير :

يعتبر الحرير ثالث خامات النسيج الطبيعية أهمية بالنسبة لمصر فى العصور الوسطى . وقد استخدمه الإنسان فى الملبس منذ زمن بعيد ، فقد عرف الصينيون طرق غزل ونسج الخيوط المستخرجة من شرانق الحرير منذ ثلاثة ألاف سنة قبل الميلاد أو يزيد ، واحتفظوا بسره حقبة طويلة من الزمن .

على أنه من الثابت أن قدماء المصريين لم يستخدموا هذه الخامة فى منسوجاتهم، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى انقطاع الصلة التجارية بينهم وبين الصين. ولكن مصر عرفت المنسوجات الحريرية منذ عصر البطالمة ، وكانت من أهم السلع التجارية فى الاسكندرية ، واستمر الحال على ذلك حتى العصر الرومانى . وفى القرن السادس الميلادى انقطع الوارد من الحرير إلى بيزنطة بسبب الحروب بينها وبين الدولة الفارسية ، إلا أنها تمكنت فى عهد الإمبراطور جستنيان سنة ٥٥٦م من معرفة

سر تربية دودة القز وصناعة الحرير .

وبرغم انتشار خامة الحرير فى منطقة الشرق الأوسط بعد معرفة سر تربية دودة القز إلا أن مصر الإسلامية لم تصنع المنسوجات الحريرية الخالصة ، بل كانت تستعمل خامة الحرير مع الخامات النسجية الأخرى كالكتان والصوف وذلك فى الأشرطة الزخرفية . فقد قام عالم الآثار جاستون فايت (Wiet) بإحصاء قطع النسيج التى تحتوى على أشرطة حريرية ، وهذه الأشرطة تحتوى على كتابات مؤرخة فوجد أنها تبلغ ٢٣١ قطعة من صناعة مصر وترجع إلى ما قبل سنة ١٠٤٥ . وهذه القطع من نسيج الكتان السادة المزخرف بشريط من الكتابة المطرزة بخيوط حريرية ، ومن هذه المجموعة يوجد عدد كبير منها بمتحف الفن الإسلامى .

ومما يسترعى النظر فى هذه القطع ، ضيق شريط الكتابة المطرز بالحرير ، أى عدم ارتفاع سيقان الحروف الكتابية وعدم وجود زخارف نباتية أو هندسية به . ولعل السبب فى ذلك القيود الدينية التى كانت مفروضة على استعمال الحرير .

على أن هذه القيود على الحرير لم تكن جديدة بل كانت موجودة قبل دخول العرب مصر . فقد أصدر أباطرة الرومان عدة مراسيم منها مرسوم سنة ٣٦٩م ، سنة ٤٠٦م ، سنة ٤٢٤م ، نصوا فيها على الحد من صناعة الحرير إلا فى الأشياء الخاصة بالقصر الإمبراطورى .

كما أصدر الإمبراطور ثيوديسس (Thèodesius) سنة ٤٣٨ قانوناً يحرم صناعة الحرير إلا بمصانع الجسبيم (Gossypium) الموجودة بمدينة الإسكندرية . كما ورد فى قوانين جستنيان أن الحرير القرمزى خاص بالأباطرة ولا يصنع إلا فى المصانع الإمبراطورية .

ويظهر أن السبب فى تغيير صناعة الحرير والحد منها مرجعه أولاً إلى قلة وجود مادة الحرير الخام وغلاء سعره ، ويمكن أن يكون ذلك نتيجة لسوء العلاقات السياسية التى كانت سائدة بين بيزنطة والفرس فى ذلك الوقت . كما لا يفوتنا فى هذا النظام أن نذكر السبب الدينى ، فقد اعتبر رجال الدين من المسيحيين لبس الحرير منافياً للرجولة .

أما سبب تقييد نسيج الحرير فى أوائل العصر الإسلامى فى مصر ، فيرجع إلى ما ورد فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة من تحريم لبس الحرير على الرجال ، فقد ورد عن حذيفة ابن اليمان قال : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم : "أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيهما وعن لبس الحرير والديباج" وأن نجلس عليه وكان لكل ذلك أثره فتوقف صنع المنسوجات الحريرية وفرض على استعمال الخيوط الحريرية فى التطريز أوامر صارمة . وبعد نقاش طويل دار حول كمية الحرير التى يسمح بوضعها فى الثوب انتهى الأمر بتحديد قدر معين من الحرير يباح نسجه فى الثوب . وصدرت الأوامر بما استقر عليه الرأى إلى المصانع لتقييدها .

وقد أشارت كتب الحسبة إلى ذلك فورد فى كتاب معيد النعم ومبيد النقم نص لأمر صدر إلى الحائك جاء فيه : يجوز جعل طراز (أى شريط به كتابة) من الحرير بشرط أن لايتجاوز قدر أربع أصابع ، كما ورد فى الحديث الشريف عن قتادة : "سمعت أبا عثمان النهدى ، قال أتانا كتاب عمر ونحن مع عقبة بن فرقد بأذربيجان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن الحرير إلا هكذا وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام" .

كما ورد فى حديث آخر عن سويد بن غفلة أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية ، فقال نهى نبى الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع .

ومن هنا يتضح لنا السبب فى إلتزام النساج فى أوائل العصر الإسلامى بقصر زخرفة الثوب على شريط بسيط من الكتابة المطرزة . وقد كان فى هذا التحديد غنم كبير للحياة الفنية ، إذ ناسب الأسلوب الزخرفى الذى انتشر فى العهد الإسلامى ، وهو تزيين الملابس بأشرطة أفقية من الحرير الملون فى ثوب من الكتان أو الصوف .

على أن إلتزام هذا التحديد وتقييده لم يدم طويلاً فقد تعددت الأشرطة الحريرية الزخرفية فى الثوب الواحد فى العصر الفاطمى ، ثم اتسعت رقعة الحرير فى الأقمشة حتى شملتها كلها .

كان هذا هو وضع الحرير فى مصر حتى نهاية العصر الفاطمى أى حتى القرن

السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . أما فى العصر المملوكى ، فقد حدث انقلاب تجارى نتيجة لانتقال طريق تجارة الشرق الأقصى من إيران والعراق بسبب استيلاء المغول عليها ، إلى البحر الأحمر ، وبذا أصبحت مصر هى الدولة المسيطرة على هذه التجارة ، ومن ثم فقد كانت تصلها كل الواردات الحريرية ، تأخذ منها ما تريد بأزهد الأثمان ثم تسمح بتصدير الفائض عنها إلى دول البحر الأبيض .

وقد أدى كثرة وجود خامة الحرير ورخص أثمانه إلى انتشار صناعة المنسوجات الحريرية بدرجة كبيرة حتى أصبح الحرير هو الخامة الأولى فى مصر بالنسبة لصناعة المنسوجات . واستمر الحال على ذلك طوال العصر المملوكى حتى إذا ما تحول طريق التجارة من البحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح فى نهاية العصر المملوكى وأوائل العثمانى ، حتى قل ورود الحرير وبذا قل صنع المنسوجات الحريرية .

ومهما يكن الأمر بالنسبة لتاريخ المنسوجات الحريرية فى مصر ، ولكننا نستطيع أن نقرر فى ثقة واطمئنان أن الخيوط الحريرية كانت على الأقل منذ العصر القبطى هى أنسب الخيوط فى عملية التطريز . وقد ظلت الخيوط الحريرية تشغل المركز الأول فى عملية التطريز طوال عصور مصر الإسلامية وحتى العصر الحديث .

القطن :

يرجع تاريخ القطن إلى أزمنة ما قبل التاريخ فى الهند ، وذكر (Turner and Gulati) أنه عثر فى بعض الحفريات الحديثة فى منطقة موهنجو دارو (Mohengo-Daru) فى وادى أندس (Indus) فى شمال غرب الهند على آثار لا تزال سليمة من نسيج وخيوط القطن ، ويدل البحث التاريخى للمكان الذى عثر عليها فيه على أن هذه الآثار ترجع إلى ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، ودل الفحص الميكرسكوبى على أن هذه المنسوجات والخيوط من نوع القطن الشجرى (Arboreum) الذى لا يزال يزرع فى الهند حتى الوقت الحاضر .

وأول مرجع مسجل حتى الآن جاء فيه ذكر القطن بالهند هو أنشودة هندية إسمها (Hindo - Rig - Veda) وهذه الأنشودة مكتوبة منذ خمسة عشر قرناً قبل الميلاد، وجاء فيها "كخيوط القطن فى أنوالها" ، مما يدل على أن القطن كان يستعمل فى تلك العهود .

وكذلك ورد فى كتب القواعد الدينية الهندية ذكر استعمال القطن عام ٨٠٠ ق.م، وقد جاء ضمن هذه القواعد الدينية أن ملابس المعبود براهمان (Brahman) لابد أن تكون مصنوعة من القطن .

وذكر هيرودوتس (Herodotus) (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) ما يأتى :

"يوجد فى الهند أشجار تنمو بريه ثمارها عبارة عن صوف يفوق جمالاً وجودة صوف الغنم ويصنع منه الهنود ملابسهم" .

أما ما ذكره ثيوفراستوس (Theophrastus) (٣٧٢ - ٢٨٧ ق.م) فيعطى ضوءاً على تاريخ زراعة القطن فى الهند فى ذلك العهد حين يقول : "أن الأشجار التى يصنع منها الهنود ثيابهم ذات أوراق تشبه أوراق التوت الأسود ، ولكن النبات نفسه يشبه ورد الكلاب (Dog - Rose) ويزرعونه على هيئة صفوف تشبه كرمة العنب" .

وقد ذكر فيركوس (Fearchus) أحد قواد الإسكندر الأكبر الذى قاد جيشاً على سواحل جنوبى شرقى آسيا عام ٣٢٧ ق.م ما يأتى :

"قد وجدت فى الهند أشجار تحمل حزماً من الصوف ينسج منها المواطنون منسوجات يصنعون منها قمصاناً لهم تصل إلى أسفل الركبة ووشاحاً يلف حول الكتفين وعمامة تلف حول الرأس ، والأقمشة التى كانوا ينسجونها من هذه المادة ناعمة وأنصع بياضاً من المنسوجات المصنوعة من المواد الأخرى ..." .

مما سبق يتضح لنا أن الهند لم تكن تعرف زراعة القطن من قديم الزمان فحسب، بل كانت مركزاً لصناعة القطن من ٣٠٠٠ سنة ق.م ، وبعض أنواع المنسوجات المصنوعة بمغازلهم وأنوالهم البدائية تفوق نعومة ومتانة مثيلتها المصنوعة فى البلاد الأخرى .

وقد ذكر الرحالة (ماركو بولو) من مدينة (البندقية) الذى طاف فى آسيا فى القرن الثالث عشر . عن الأقمشة التى تصنع فى منطقة مدراس فى الهند "أنها أنعم وأجمل نسيج فى العالم" . كما وصف آخرون هذه المنسوجات فقالوا : "أنها من النعومة بحيث لا تشعر بحملها على يديك ، وخيوطها من الدقة بحيث يصعب رؤيتها ، وعندما يوضع هذا النسيج على العشب ويتساقط عليه الندى يتعذر رؤيته لشفافيته ورقته" ووصفه شعراء الهند القدماء أنه "نسيج من الهواء" .

هذا وقد بدأت زراعة القطن فى الهند ومنها أخذت تنتشر فى باقى أنحاء العالم، فقد كان التبادل التجارى بين الهند والصين وثيقاً سواء بواسطة القوافل البرية أو بالسفن البحرية التى تنتقل على طول الساحل بين الدولتين ، وبواسطة هذه القوافل وجدت بذور القطن طريقها إلى الصين .

لكن الشعب الصينى شعب متحفظ ضد كل جديد ، لذلك ظلت زراعة القطن أجيالاً مقتصرة على استعماله كنبات للزينة ، فلم يستعملوه فى نسج ملابسهم رغم جودته ورخصه بل فضلوا عليه لباس آبائهم وأجدادهم ، وظلوا كذلك حتى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد ، حيث بدأت زراعته وغزله فى الانتشار فى هذه البقاع ، وكذلك انتقلت زراعة القطن من الهند إلى غرب آسيا ، فقد شاهد بلينى (Pliny) (سنة ٢٣ - ٧٩ بعد الميلاد) القطن مزروعاً فى جزيرة تيلوس (Tylos) فى الخليج الفارسى ، كما شاهده تيوفراستوس فى الجزيرة العربية ، ولكن تفضيل سكان هذه البلاد لزراعة المحاصيل الغذائية لحاجتهم الماسة إليها عاق توسع زراعة القطن فى هذه المناطق .

وتعد مصر من أهم بلاد العالم إنتاجاً للقطن فى العصر الحديث ، ويرجع ذلك إلى جودة تيلة القطن المصرى ، وصفاتها الغزلية الممتازة . ويزيد من أهمية مصر أنها تغذى العالم بأكثر احتياجاته من القطن الفاخر .

ويقتضينا البحث فى تاريخ القطن فى مصر أن نرجع إلى أيام قدماء المصريين ، أى إلى فترة سابقة للميلاد المسيحى بعدة قرون .

فمما هو جدير بالذكر ، ومما يلفت النظر أن مصر ذات الحضارة العريقة التى

ترجع إلى آلاف السنين ، والتى عرفت فى عصور التاريخ القديم بنشاطها التجارى وفتوحاتها وغزواتها العديدة لم تعرف القطن ولم تستعمله فى أبان حضارتها الفرعونية القديمة - رغم قربها من الهند - وأن جميع مخلفات النسيج التى عثر عليها فى مقابر قدماء المصريين كانت مصنوعة من الكتان ، ولا يوجد لدينا إلى الآن دليل يثبت زراعة القطن بمصر فى هذا الوقت المبكر من التاريخ ، وإن كان هذا لا ينفى معرفة قدماء المصريين للأقمشة والمنسوجات القطنية . فقد ذكر (هيرودوتس) المؤرخ اليونانى الشهير (٤٥٠ق.م) "أن الملك أماسيس أو أحمس الثانى (٥٦٩ - ٥٢٥ ق.م) أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين أهدى درعين أحدهما إلى أهالى إسبرطة ، والثانى إلى معبد منيرفا ، وكان الدرعان مصنوعين من الكتان ومنسوج عليهما رسوم للحيوانات ومزركشين بالذهب وصوف الشجر (القطن) ، كما ذكر هيرودوتس أيضاً أنه (لم يكن يسمح للكهنة المصريين بارتداء الملابس القطنية) وواضح من هذا أنها كانت معروفة لديهم .

وقد أجمع المؤرخون على أن الملابس القطنية كانت شائعة الاستعمال فى مصر فى عهد البطالسة (٧٠٠ ق.م) . وورد ذكر القطن فى التوراة إذ جاء فيها أن عزيز مصر (فرعونها) أهدى رداء من القطن إلى سيدنا يوسف عليه السلام تمييزاً له عن عامة الشعب . كما ذكر القطن ضمن الكتابة المنقوشة على حجر رشيد الأثرى المشهور الذى كان السبب فى حل اللغة الهيروغليفية .

والمأثور عن الملكة كليوباترا - وهى آخر ملوك البطالسة فى مصر - أنها لم تجد هدية تقدمها إلى يوليوس قيصر فى روما أغلى من قميص مصنوع من خيوط القطن حاكته بأناملها وأنامل وصيفاتها فى ثلاثة أيام .

ولقد عثر العالم المشهور "روزللينى" (Rosellini) على بذرة قطن داخل وعاء فى إحدى المقابر القديمة بطيبة (الأقصر) وقد قال عنها :

"بارلاتورى" (Parlatore) العالم النباتى الإيطالى المشهور إنها بذرة القطن الشجرى.

واشتهرت مصر أيضاً فى عهد الرومان بزراعة القطن وتجارته وصناعته - غير أن

انتشار الظلم فى أواخر عهدهم واختلال الأمن أدى إلى اندثار زراعة القطن وصناعته .

وفى سنة ١٩٤٧م كشف الأستاذ بشتلى بحفائر جمعية الآثار القبطية بدير "أنبا فوبيامون" فى الصحراء بجوار مدينة أرمنت غرب "بيبان الملكات" على مخلفات من المنسوجات يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع ق.م كما تدل عليه النصوص والآثار التى وجدت فى الحفائر ، وقد تبين من الفحص الميكرسكوبى أن بعض المنسوجات مصنوعة من القطن . ويعتبر هذا أول اكتشاف قطنى فى مصر فى العهود القديمة .

كما عثر على منسوجات أخرى من نفس العصر فى بلدة عنيبة جنوبى مصر ، واعتقد مكتشوفها أنها من الكتان ، ولكن بإعادة فحصها بمعرفة جمعية الأبحاث البريطانية لصناعة القطن اتضح أنها من القطن .

وإذا انتقلنا فى البحث وراء تاريخ القطن بمصر بعد الميلاد المسيحى لتبين لنا أن نبات القطن نفسه كان موجوداً فى ذلك العهد .

فقد كتب "بللينى" سنة ٧٠ ميلادية يقول "تنمو بالجزء الجنوبى فى مصر المواجهة لبلاد العرب شجيرة يسميها البعض (جوسبيون) (Gossypion) ويسميها البعض الآخر "زيلون" (Xylon) ويعرف القماش الناتج منها باسم "زيلينا" (Xylina) وهى شجيرة قليلة الارتفاع ثمرتها تشبه الجوزة يؤخذ من داخلها نسيج لا يضاهى فى بياضه ونعومته ، وتصنع منه ملابس محببة جداً إلى الكهنة المصريين .

كما ورد ذكر القطن ضمن وصف "بولكس" (Pollux) (١٥٠ ميلادية) لشجرة نامية بالهند ومصر لها "ثمرة تشبه الجوزة ذات ثلاثة مصاريع تنفتح ويخرج منها صوف يستعمل فى صنع القماش "ولعل هذا أدق وصف ورد للقطن وبالأخص ما ذكره عن انشقاق الغلاف الثمرى للوزة عند النضج إلى ثلاثة مصاريع .

وكان فتح العرب لمصر فى القرن السابع الميلادى دافعاً جديداً لزراعة القطن الحولى الذى أحضروه معهم من الشام ، كما ورد ذلك فيما دونه كثير من كتاب العرب . ولو أن العرب لم يتوسعوا فى زراعة القطن فى بلادهم ، إنما عملوا على انتشار زراعته فى مختلف بقاع العالم ، فلم تدخل زراعة القطن إلى أوروبا إلا بفضل العرب فأدخلوه فى جزيرة صقلية فى القرن التاسع الميلادى ، وفى أسبانيا فى أوائل

القرن العاشر ، ثم لم يلبث أن امتدت زراعته إلى جنوب إيطاليا وما جاورها ثم انتقل إلى اليونان فى القرن الثانى عشر .

ويذكر وات (Watt) وهو عالم انجليزى عند بحثه عن مصدر كلمة (Cotton) ومشتقاتها باللغات الإفرنجية أنها مأخوذة من كلمة قطن العربية . كما نشر المسلمون زراعة القطن بامتداد فتوحاتهم فى جميع أنحاء القارة الإفريقية .

وورد ذكر القطن فى كتاب "تاريخ الفيوم" الذى ألفه سنة ١٢٤٣م (٦٤١ هـ) أبو عثمان النابلسى الصندى حاكم الفيوم فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فقد ذكر بيانات عن زراعة القطن بكل بلد من بلاد الفيوم فى هذا الوقت .

أما فى عهد العثمانيين فقد اضمحلت زراعة القطن بسبب استبداد الولاة ، ولم تنل زراعة القطن وصناعته فى عهدهم أية عناية ، على أنها سرعان ما استعادت أهميتها فى عصر محمد على .

الفصل الثالث

أنواع الغرز :

لقد تعددت وتشعبت غرز التطريز التى استعملت فى زخرفة المنسوجات ، إلى درجة كبيرة بحيث أصبح من العسير فى كثير من الأحيان معرفة مركز صناعتها لذلك فقد رأيت أن أفرد لكل غرزة دراسة مستقلة وخاصة ما كان سائداً منها فى مصر فى العصر العثمانى .

غرزة الحشو (Satin Stitch) :

يتضح لنا من المنسوجات المطرزة والتى ترجع إلى العصر العثمانى أن غرزة الحشو كانت من الغرز السائدة والشائعة فى معظم منسوجات تلك الفترة . وتنقسم طريقة التطريز بالحشو إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : هو الحشو بالورق المقوى (بالكرتون) وفى هذه الحالة يتحتم أن تكون الزخارف مكونة من أشكال هندسية بحتة ومن خطوط مستقيمة فى معظم الأحيان. وأن تكون غرزة التطريز المستعملة هى غرزة الحشو العادية ، ونادراً ما تكون غرزة البطانية .

أما النوع الثانى من الحشو فيستعمل فيه القطن ، وفى هذه الحالة يتحتم أن تكون الزخارف صغيرة الحجم وعلى شكل دائرى . والغرز المستعملة فى الحشو بالقطن، غرزة الحشو العادية وغرزة البطانية فى كثر من الأحيان . وتبدو الزخارف المطرزة بالحشو للقطن بارزة جداً .

والنوع الثالث من الحشو يستعمل فيه الخيوط الكتانية : وهذا النوع من الحشو مرن وتطرز به جميع أنواع الزخارف الهندسية والنباتية بل الحيوانية كذلك . ويستعمل فى الحشو الكتانى عدد كبير من الغرز فهو يعتمد أساساً على غرزة الحشو ذات الوضع المائل وخاصة فى الزخارف الكبيرة الحجم كالوردة أو الزهرة أو الأجسام الحيوانية أو الحروف الكتابية العريضة . أما الزخارف الصغيرة وخاصة الفروع النباتية فنستعمل

عادة غرزة الحشو العادية أو البطانية . كما تستعمل غرزة النباتة أو الفرع فى تحديد تفاصيل الزخرفة فى العناصر الكبيرة الحجم . وتحتاج طريقة الحشو بالخيوط الكتانية إلى مهارة فنية عالية كما أن تنفيذها يحتاج إلى وقت أطول وجهد أكبر . ولذلك فإن الحشو بطريقة الخيوط الكتانية يعادل عشرة أمثال الحشو (بالكرتون) والقطن من حيث الجهد والثمن . كما يمتاز الحشو بالخيوط الكتانية بأنه أطول أنواع الحشو بقاء وأقلها عرضة للتلف ، إذ أن الحشو بالكرتون يتعرض بسرعة إلى انكسار الورق المقوى، فتتعرض خيوط التطريز إلى التلف . كذلك فإن الحشو بالقطن إذا أسئ استعمال القطع المطرزة فإن قطن الحشو يبرز ويعرض خيوط التطريز للتلف . أما الحشو بالخيوط الكتانية فإنه يستطيع أن يقاوم سوء الاستعمال . والتطريز بغرزة الحشو العادية (Satin Stitch) والشائعة يكون كالآتى :

يملأ الشكل المراد تطريزه أولاً بغرزة الشلالة إذا أريد أن يكون الحشو عادياً ، أو بغرزة الفرع إذا أريد أن يكون الحشو بارزاً نوعاً . وعمل هذه الغرزة يتقدم من اليسار إلى اليمين ويبدأ من نهاية الورقة أو يتبع تحديد الرسم ، وبالنسبة للورقة (شكل ١١) يكون العمل من القاعدة إلى القمة ، ونبدأ بالغرزة بتثبيتها فى ظهر القماش ثم تخرج عند نقطة (A) ثم نضعها فى نقطة (B) ثم تمر أسفل النسيج وتخرج فوق نقطة (A) على التخطيط الأعلى مباشرة فى الجهة اليسرى ثم إلى التخطيط الأعلى لنقطة (B) ثم تمر أسفل النسيج إلى اليسار ثم إلى اليمين .. وهكذا إلى أن تنتهى الورقة ، ويجب أن تكون الغرز متساوية بجانب بعضها البعض ويجب أيضاً أن تكون قريبة من بعضها البعض بقدر ما يسمح بذلك سمك الخيط المشغول به ، وتكون الغرز متلاصقة بحيث تختفى أسفلها غرز الحشو الداخلى .

وغررة الحشو من أكثر الغرز شيوعاً واستعمالاً . وجمال هذه الغرزة يكمن فى تساوى الغرز التى يجب أن يعبر عن تخطيطها بدقة عند ملء الشكل ، وهنا تكمن الصعوبة ، ويمكن إحراز السهولة فى تنفيذها بالتمرين .

غرزة الباروك :

غزا أسلوب الباروك الفـن التركى فى القرن الثـامن عـشر عن طـريق أوروبا وكان أثره واضحاً جداً فى التطريز العثمانى وهذا لاتصال الدولة العثمانية بأوروبا ، وبدأت تظهر فى أوائل القـرن الثامن عشر فى الزخرفـة التركية عناصر غريبة أتت من أوروبا ، وكانت هذه العناصر ترسم بأسلوب مغاير للأسلوب التركى التقليدى ، وتتكـون هذه العناصر من الأصداف والقواقع والشماعد والأوراق المعقوفة ، وقرن الرخا ، والجامات، وهى من العناصر الرئيسية فى أسلوب الباروك الذى أعقب عصر النهضة فى أوروبا . ثم مزج الأتراك هذه العناصر الجديدة بعناصرهم القديمة ورسموها بأسلوبهم التقليدى ، ومن ثم أصبح يطلق على الأسلوب (المهجن) الجديد إسم الباروك التركى .

وقد استتبع ظهور هذا الأسلوب الزخرفى الجديد ظهور غرز تطريز جديدة عرفت باسمه . وطريقة تطبيق هذه الغرزة تتم بعمل غرزة الحشو العادية بحيث تتخلل خيوط الحشو النسيج كالمعتاد ، وكما سبق أن ذكرت عند شرح غرزة الحشو . ولإيجاد البروز اللازم لهذه الغرزة والذى يعتبر من أهم مميزاتها تستعمل غرزة حشو أخرى فوق غرزة الحشو الأولى ولكن خيوط التطريز فى المرة الثانية لا تخترق القماش ، ولكن تمر بين خطوط الحشو الأولى وسطح النسيج فقط .

ويجب ملاحظة أن خيوط الحشو الثانية تكون بعكس خيوط الحشو الأولى كما تتضح فى (شكل ١٢) .

السيرما :

تعتمد أساساً غرزة السيرما على استخدام الخيوط المعدنية ، وهذه الخيوط لا تخترق النسيج ولكن تكون على سطح النسيج فقط ويستخدم النسيج فقط فى تثبيت الغرز بواسطة الخيط العادى .

وهذا النوع من التطريز له أسلوب معين فى العمل وأيضاً فى الاستخدام فيجب أن يكون العمل متقناً ، ومن حيث الاستخدام يجب أن نكون حريصين على عدم تعرضه

للبلل أو الغسيل ، ولأن الخيوط المعدنية تتأثر بالماء وإلى جانب هذا حفاظاً على الشكل المتماسك الناتج من استخدام الكرتون .

ويكون العمل كالآتى :

تنقل الزخرفة على النسيج ، ثم تنقل الأجزاء المراد تطريزها بالخيوط المعدنية - سواء أكانت فضية أو ذهبية - على ورق كرتون غير قابل للانكسار، ومن حيث اللون يفضل أن يكون الكرتون من لون القماش ، ثم تقص هذه الأجزاء ، بحيث تكون حافتها ناعمة ولا تكون حادة حتى لا تتأثر بها الخيوط المعدنية . وبعد ذلك تثبت قطع الكرتون فوق النسيج بغرزة سراجة صغيرة بحيث يكون ورق الكرتون مطابقاً تماماً للرسم على النسيج . ثم تملأ مساحة الكرتون بالخيوط المعدنية على السطح فقط ويكون التطريز إما بخيطين أو بخيط واحد معدنى ويرجع هذا إلى سمك الخيط وسمك النسيج وحجم الزخرفة . فكلما كان الخيط سميكاً يستخدم خيط واحد (شكل ١٣) ، وعندما يكون الخيط أقل سمكاً يستخدم خيطان (شكل ١٤) . إلى جانب مراعاة حجم الزخرفة ونوع النسيج كما سبق أن أشرت .

والتطريز يكون بلضم الإبرة بخيط مناسب للون الخيط المعدنى فيكون أصفر ذهبياً عند استعمال الخيط الذهبى ، ويكون رمادياً مائلاً إلى الفضى عند استعمال الخيط الفضى . ويبدأ الخيط المعدنى من أول الزخرفة ويثبت بالإبرة والخيط العادى ثم نسير بالخيط المعدنى لتغطية الزخرفة المراد شغلها بهذا الخيط ، وذلك يكون مرة من الطرف الأيسر ومرة من الطرف الأيمن للورقة الكرتون ويثبت الخيط المعدنى فى كل مرة بالخيط المناسب السابق ذكره وبغرزة غير ظاهرة حتى لا يطغى على الخيوط المعدنية - وواضح أن الخيط المعدنى يكون على سطح النسيج فقط فوق الكرتون ولا يخترق النسيج .

والمهارة فى هذه الغرزة أن يظهر الخيط المعدنى فقط ، أى أنه يجب مراعاة الدقة التامة فى عدم إظهار الكرتون أو الخيط العادى المستخدم لتثبيت الخيوط المعدنية . ويمكن ملء الزخرفة بخيوط قطنية بدلاً من استخدام الكرتون ، بحيث تعطى الارتفاع المطلوب .

غرزة الركوكو (Bullion knot stitch) :

إن غرزة الركوكو معروفة من زمن قديم ، ففى المتحف المصرى قطعة مسجلة رقم (٤٦٥٢٩) وجدت بمقبرة أمنحتب الرابع - بها زخارف مطرزة بغرز أعيد استعمالها حديثاً منها غرزة الركوكو . علماً بأن هذه الغرزة من أحدث ما وصل إليه فن التطريز فى العصر الحديث .

وقد غزا أسلوب الركوكو الفن التركى فى القرن الثامن عشر عن طريق أوروبا ، وكان أثره واضحاً جداً فى التطريز العثمانى وهذا لاتصال الدولة العثمانية بأوروبا ، وقد عرف تطريز الركوكو الفرنسى فى اسطنبول بعد منتصف القرن الثانى عشر الهجرى (١٨م) . وقد أقبل الفنانون الترك عليه حتى يمكن أن نطلق على ما وصلوا إليه فى هذا الميدان اسم تطريز الركوكو التركى .

وغرزة الركوكو تعطى شكلاً رقيقاً ودقيقاً وجميلاً علماً بأن نتيجتها سريعة وتستخدم فى عمل الزهور والأوراق الصغيرة . و (الشكل ١٥) يوضح غرزة كاملة وغرزة فى حيز التنفيذ . وعلى فرض أن الغرزة التى نريد عملها تقع بين (C.D) (موازية للغرزة فى(A.B) - توضع الإبرة فى (D) ثم تخرج من (C) بدون جذبها وعندما تكون الإبرة فى هذا الوضع يؤخذ الخيط الذى يكون عند (C) فى اليد اليسرى ثم يلف حول الإبرة بعدد اللفات المطلوبة لملء الفراغ بين (C.D) - ويوضع الإبهام الأيسر على اللفات لكى يحتفظ بها قوية ثابتة وفى نفس الوقت تجذب الإبرة من خلال الإصبع وتوضع فى (D) وبالتدريج يجذب الخيط إلى الخلف لكى تحبك الغرزة .

ويجب ملاحظة استخدام إبرة ذات عين مستديرة بسطح أملس من العين إلى الحافة وهى أفضل إبرة للاستخدام حتى لا تفسد الغرزة ، لأنه ليس من الممكن جذبها بسهولة من اللفات إلا إذا كانت الإبرة ذات عين واسعة . ويجب أن يكون الخيط جيد الالتواء وذلك للحصول على أحسن النتائج .

وللحصول على ورقة منحنية تزاد عدد مرات لف الخيط حول الإبرة بحيث يكون أكثر من طول المسافة بين (C.D)، وبذلك يعطى الشكل المطلوب (شكل ١٦) .

غرزة الرفى (Darning stitch) :

انتشر استخدام هذه الغرزة فى العصر العثمانى كما هو واضح فى معظم منسوجاتهم المطرزة .

ومع أن البعض يسمى هذه الغرزة بغرزة السراجة ولكنى أرى أن تسميتها بغرزة الرفى تنطبق عليها أكثر من تسميتها بغرزة السراجة . وذلك لأننا نملأ مساحة الزخرفة المراد تطريزها وهذا ما يحدث عند رفى أى ثقب . أما غرزة السراجة فتكون عبارة عن خط واحد .

ولعمل هذه الغرزة يتبع الآتى :

يثبت طرف الخيط فى القماش ويكون العمل فى هذه الغرزة من اليمين إلى اليسار وتغرز الإبرة على بعد فتلة واحدة من النسيج ثم نخرج على بعد ثلاث فتلات من النسيج - علماً بأن هذه المسافة تتوقف على حجم الزخرفة وأيضاً تتوقف على سمك النسيج والخيط - أما السطر التالى فيكون عكس السطر الأول أى أسفل المسافة الكبيرة وفى وسطها تكون المسافة الصغيرة ، وأسفل المسافة الصغيرة تكون المسافة الكبيرة . وتكرر هذه العملية بعمل السطر الثالث مثل السطر الأول ، والسطر الرابع مثل السطر الثانى كما هو واضح فى (شكل ١٧) . وتكرر هذه العملية إلى الانتهاء من الشكل المطلوب تطريزه بهذه الغرزة .

وهذه الغرزة سهلة وبسيطة ، ولكن يجب مراعاة أن لا يكون الخيط المستخدم فى التطريز مشدوداً أو مرخياً حتى نحافظ على الشكل ، وتكون النتيجة صحيحة .

ويرجع أصل هذه الغرزة إلى زمن بعيد . فقد امتازت القباطى المصرية بوجود الشقوق التى تحدث عند تغيير خيوط اللحمة فى الأشكال التى بها خطوط رأسية فكان النساج المصرى يترك هذا الشق عادة إلا إذا كان كبيراً فإنه يوصله فى مسافات متباعدة غير منتظمة - وقد كان النساج فى القرن (٤-٥)م يترك هذا الشق مهما يكن طويلاً ثم يخيطه بالإبرة بعد ذلك إما بغرزة غير مرئية (مسحورة) أو بغرزة من غرز التطريز الجميلة . وهذه الغرزة غير المرئية هى غرزة الرفى التى تطورت إلى غرزة الرفى السابق ذكرها (شكل ١٧) ثم تطورت إلى الغرز الجميلة المعروفة بالإنجليزية

باسم (Needle Weaving) أى النسج بالإبرة (شكل ١٨) وهذا الإسم أطلق على عملية رفى النماذج بالإبرة فى خطوط النسيج الطولية (السدى) أو فى لحمة النسيج وقد سحبت مجموعة من الخيوط . فإذا سحبت خيوط السدى يكون التطريز على خيوط اللحمة وإذا سحبت خيوط اللحمة يكون التطريز على خيوط السدى . وتظهر هذه الغرزة منظراً جميلاً وتعمل بزخارف عديدة منها الخطوط المستقيمة ومنها شكل الأهرامات وفى كل الأحوال تكون الغرزة متماسكة ومتألقة .

ولعمل هذا النوع من التطريز يتبع الآتى :

يسحب عدد من خيوط اللحمة مثلاً ، ويكون عدد الخيوط المسحوبة تبعاً للعرض المطلوب . ويكون العمل من اليسار إلى اليمين . يثبت الخيط فى طرف أحد جانبى الخيوط من اليسار ومن أسفل وتؤخذ مجموعة زوجية من الخيوط ، ثم تقسم هذه المجموعة إلى قسمين وتمرر الإبرة مرة أعلى النصف الأول ومرة أسفل النصف الثانى . ثم بالعكس تمرر أعلى النصف الثانى ثم أسفل النصف الأول ويكون العمل بالتبادل وتكرر هذه العملية إلى الانتهاء من الصف الأول ثم ينتقل إلى الصف الثانى على أن تؤخذ غرزة صغيرة جداً فى النسيج للوصول إلى الصف الثانى وذلك حتى لا يكون القماش مشدوداً وتكرر هذه العملية إلى الانتهاء من جميع الصفوف .

غرزة البارزة (Couching stitch) :

كثر استخدام هذا النوع من التطريز فى المنسوجات المطرزة فى العصر العثمانى . ويستخدم هذا التطريز لملء المساحات . وهذه الغرزة سهلة وسريعة فى التنفيذ ونتيجتها جميلة . وهى عبارة عن خيوط تمتد فوق النسيج ، وتثبت بغرز (لفق) صغيرة مائلة على طول الخيط الممتد ، وتكون المسافات بين الغرز المائلة هذه تبعاً لحجم الزخرفة ، وتكون هذه الغرزة فى خطوط متوازية بدون ترك مسافات بين كل خط وآخر . والعمل يكون كالآتى :

يثبت طرف الخيط من جهة اليسار ثم تغرز الإبرة فى طرف الرسم جهة اليمين وتخرج على بعد ٤ مليمتر تقريباً - علماً بأن هذه المسافة تتوقف على حجم

الزخرفة كما سبق أن أشرت وأيضاً تبعاً لسمك الخيط والنسيج المستخدم - وتخرج الإبرة من أسفل الخيط وبذلك نحصل على سطر من الخيط كما هو واضح فى (الشكل ١٩) .

ثم يثبت هذا السطر من الخيط بغرز التثبيت المائلة وذلك من اليمين إلى اليسار، ويكون هذا بغرز الإبرة فوق الخيط الممتد . ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار أن تكون مسافات الغرز التى تستخدم فى تثبيت الخيط الممتد متساوية كما يتضح فى (شكل ٢٠) . ويكرر هذا العمل ثانية بعد سطر آخر ، ويثبت بغرز التثبيت المائلة وهكذا يكرر العمل حتى يملأ الشكل المطلوب تطريزه بهذه الغرزة .

ويجب ملاحظ أن لا يكون الخيط الممتد مشدوداً أو مرخياً أثناء التطريز حتى نحصل على النتيجة المرجوة .

غرزة (غطاء العين) (Eye - Let Hole stitch) :

وهذا النوع من التطريز وجد أيضاً فى المنسوجات التركية المطرزة . وسميت هذه الغرزة بهذا الإسم لأنها تشبه جفن العين . كما هو واضح فى (شكل ٢١ ، ٢٢) وأحياناً تكون الدائرة كلها بغرزة الكردون كما فى (شكل ٢٣) .

ويكون العمل فى هذه الغرزة كالآتى :

تعمل غرزة الشلالة بحيث تتبع محيط الدائرة ، وبعد ذلك يملأ الجزء العريض أيضاً بغرزة الشلالة المتبادلة ، ثم يثقب الشكل بواسطة "الخرامة" ويشغل حول الدائرة على أن يكون الجزء الرفيع بغرزة الكردون والجزء العريض بغرزة الحشو أو غرزة الفستون أو تكون الغرزة كلها بغرزة الفستون أو تكون بغرزة الكردون . ويكون العمل فى هذه الغرزة من الداخل إلى الخارج إلى أن تنتهى الدائرة .

وبجب مراعاة الدقة التامة فى عمل هذه الغرزة بحيث تعطى النتيجة المطلوبة . ويكون الخيط المستخدم فى هذا النوع من التطريز تبعاً لنوع وسمك النسيج .

التطريز بالنسيج المضاف (Applied and Patch Work) :

يمكن تعريف هذا النوع من التطريز بأنه إضافة قطع صغيرة من النسيج إلى مساحة كبيرة مختلفة عنها فى اللون وفى كثير من الأحيان فى المادة ، وذلك بواسطة إخاطتها بإبرة التطريز وبغرز عديدة فأحياناً بغرز لا ترى "مسحورة" أو بغرزة الفستون أو بغرزة الأجور أو بغرزة الكردون . على أن تثبت قطع النسيج المضاف بإحدى هذه الطرق بكل دقة وإتقان . وهناك خيوط ذهبية وفضية تستعمل أحياناً فى هذا النوع من التطريز وهذه الخيوط تضيف أثراً ذا قيمة .

وفى هذا النوع من التطريز يكون التصميم جريئاً ، لأنه ليس من الجدوى أن نطبق قطعة صغيرة من اللون يمكن عملها بسهولة بواسطة غرز التطريز الأخرى . ولو أنه فى بعض الأحيان تستخدم الزخارف الصغيرة نوعاً ، لهذا الغرض .

ويكون العمل كالآتى :

تنقل الزخرفة على النسيج ، ثم تنقل الأجزاء المراد تطريزها بنسيج الإضافة على القطع المخصصة لذلك .

وعلى سبيل المثال : تيل الأرضية لونه بنى ، والثمار تيل برتقالى ، والأوراق بلون أخضر . تنقل الزخرفة كلها على النسيج البنى . ثم تنقل الأجزاء التى تختص بالثمار على النسيج البرتقالى ، وتنقل الأجزاء التى تختص بالأوراق على النسيج الأخضر . وبعد ذلك يقص حول الأجزاء البرتقالية والخضراء بحيث تترك مسافة ١ سنتيمتر تقريباً حول الزخرفة ، إذا كانت الغرز المستخدمة الفسون أو الكردون . أما إذا كانت الأطراف ستثنى إلى الداخل وتعمل بغرزة الأجور فيقص حول الزخارف بمقدار أقل من نصف سنتيمتر . ثم توضع الزخارف البرتقالية والخضراء على النسيج البنى بحيث تكون الأجزاء المضافة مطابقة تماماً للزخرفة المرسومة على النسيج البنى ، وأيضاً مطابقة تماماً للتركيب النسجى . ثم تثبت بغرزة السراجة - ففى حالة عملها بغرزة الأجور تثنى الأطراف إلى الداخل ثم يعمل الأجور ، أما إذا كان عملها بواسطة غرزة الفستون أو الكردون فتوضع مسطحه . ويعمل الفستون أو الكردون ، وبعد الانتهاء من تطريزها بالفستون أو الكردون يقص القماش الزائد الذى يوجد حول

الزخرفة . وينتج عن هذه الإضافة شكل أو عنصر زخرفى جميل .

فى طريقة التطريز السابقة تكون الزخارف المضافة على وجه النسيج - وأحياناً أخرى تستخدم قطع الإضافة على ظهر النسيج فى حالة استخدام المنسوجات الشفافة - فمثلاً قماش موسلين أبيض تستخدم له ألوان أخرى توضع على ظهر النسيج وتعمل بغرزة الآجور على وجه النسيج وبعد ذلك يقص حول الزخارف وينتج عن هذا أيضاً زخارف ذات منظر جميل . وفى هذا النوع من التطريز يمكن استخدام غرزة الفستون أو الكردون أيضاً ولكن من الأفضل استخدام غرزة الآجور .

ملاحظة : يجب أن يوضع فى الاعتبار أن المنسوجات القابلة للانكماش يجب غسلها وكيها قبل شغلها بالتطريز بالنسيج المضاف حتى لا يتعرض أى من النسيج المضاف أو نسيج الأرضية للانكماش أو التجعد ، وحتى لا نجد إخلالاً بالزخرفة المطلوبة بعد استعمالها .

والتطريز بالنسيج المضاف يوجد تقريباً فى جميع الأقطار ولكن فى كل قطر يكون طبقاً لتقاليده الوطنية الخاصة التى كثيراً ما تدخل عليه تعديلاً مما يجعل الاختلاف واضحاً فى الأسلوب . وسنضرب لذلك مثلاً لتطريز تركى معروف جيداً ويتمثل فى اللوحة (رقم ٥٨) والذى يظهر استعمال الخامات التى تشبه صوف الفانيل، ومن ألوان متعددة ، وتحتوى على مدى واسع ، والأزهار ومحتوياتها موضوعة طبقة فوق طبقة . وفى بعض الأحيان تصل إلى ست طبقات ، وهذا يخلق ارتياحاً فى العمل لأن الألوان الكثيرة ، والتأثير المرتفع يعطى شكلاً غير عادى ، ومن المحتمل أن تحل القطيفة فى الوسط محل أرضية الأقمشة الصوفية وعادة ما يكون هذا فى سجادة الصلاة التى كثيراً ما تعمل فى القسطنطينية .

وتعرف طريقة الإضافة عندنا فى مصر باسم (شغل الخيم) وفى إيران باسم (الكلبدون أو الرشت) . وطريقة رشت هذه تمتاز بأن كل قطعة مضافة يحيط بها (كردون) ولذلك فإن رسومها وزخارفها تبدو دائماً محددة ومتقنة . وقد انتشر هذا الأسلوب فى فن التطريز فى إيران منذ القرن الثامن عشر ، ولكنه كثر بشكل واضح فى القرن التاسع عشر ، إذ كان يصنع منه سجاجيد الصلاة والستور والفرش وكذا السروج .

وهناك مجموعة كبيرة من القطع المطرزة بطريقة الإضافة ، زخارفها غاية فى الدقة والإتقان وتملأ النسيج كله حتى تبدو وكأنها منسوجة وليست مطرزة ، وتنسب طريقة رشت هذه إلى مدينة رشت وتقع على بحر قزوين .

أما فى أوروبا فتعددت أسماء هذه الطريقة من التطريز بتعدد الشكل الزخرفى فهى تعرف باسم الزخرفة المضافة (Applied work) وتعرف باسم (Reserved-technique) أو (Patch work) ، أما إذا كانت القطع المضافة صغيرة جداً ومخاطة البعض بجانب البعض ومتعددة الألوان فتعرف باسم الفسيفساء (Mosiac) .

أما عن تاريخ ونشأة هذا النوع من التطريز ، فليس بالأمر الشاق العسير ، ذلك أن أداء معظمه وسرعة الانتهاء منه ، والحصول على منسوجات مزركشة بأبسط وأقل التكاليف يؤكد أن هذه الطريقة عرفت منذ فجر التاريخ ، وأنها أول محاولة عرفت لزخرفة المنسوجات والملابس على الإطلاق ، فقد عرفت هذه الطريقة منذ العصر الفرعونى .

كما عثر الأستاذ أوريل شتين (Aural Stuen) فى كهوف البوذية التى ترجع إلى ما بين القرنين السادس والتاسع الميلادى على مجموعة كبيرة من القطع المطرزة بطريقة الإضافة ، والزخارف غاية فى الدقة والاتقان مما يدل على ممارستهم لهذه الطريقة من التطريز منذ زمن بعيد .

ويوجد فى المتحف القبطى كثير من القطع المطرزة بطريقة الإضافة وهى ترجع إلى الفترة ما بين القرنين الرابع إلى السابع الميلادى . ثم استمرت هذه الطريقة مستعملة فى زخرفة المنسوجات فى العصور الوسطى فى مصر الإسلامية ، وكانت منتشرة فى العصر المملوكى منذ القرن الثالث عشر الميلادى .

وانتشرت هذه الطريقة فى أوروبا بكثرة فى بلاط الملوك والأمراء فى العصور الوسطى وخلال النظام الاقتصادى ، فهناك قطعة محفوظة فى كتدرائية (بامبرج) بألمانيا ترجع إلى القرن الحادى عشر . ثم انتشر على نطاق واسع هذا الأسلوب من التطريز فى زخرفة وتزيين الفرش والأغطية والستور فى القرن الخامس عشر فى أوروبا

وخاصة فى إيطاليا حيث عرفت هذه الطريقة من التطريز المضاف باسم (Lavora di Commasso) .

وطريقة النسيج المضاف تعد فى معظم الحالات أرخص أنواع التطريز ، ذلك لأن القطع المطرزة يتم زخرفتها بسرعة . كما تمتاز زخارف هذه الطريقة بأن معظم رسومها هندسية ، مما يسهل قصه فى القطع الصغيرة من النسيج . ويصاحب القطع المضافة فى كثير من الأحيان غرز تطريز متعددة مما يناسب الزخرفة ، وإخراج الأشكال والمناظر .

وأى زخرفة يمكن أن تكون وسيلة للتصميم المضاف سواء أكانت فاكهة أو زهورا أو منظراً طبيعياً أو أشخاصاً أو حيوانات ، ولكن يجب أن يعبر عنها بأسلوب بسيط .

وبالتطريز بالنسيج المضاف يمكن وضع أو إضافة قماش مزركش بأشكال وألوان مختلفة على سطح النسيج . وذلك يضفى شكلاً جذاباً .

وبالتطريز بالنسيج المضاف أيضاً يمكن وصل الأقمشة لعمل ملاءات الأسَرة التى تكون أقل من المقاس المعتاد ، وذلك بعمل إطار حولها من لون آخر . وبهذا الأسلوب نحصل على هدفنا إلى جانب إعطاء الملاءة إطاراً جميلاً .

غرزة الظل (Double Back Stitch) :

وهذه الغرزة مفيدة وتستخدم لتظليل الزخارف النباتية وخاصة أوراق الزهر ، وقد سميت هكذا (Double Back stitch) لأن خطين من غرزة النباتة تكون فى الوجه الآخر للقماش كلما تقدمنا فى عمل الغرز ، والجزء المشغول يكون مظللاً .

وفى عمل هذه الغرزة تكون الغرز ملامسة بعضها البعض عند الإطار أى عند الحدود الخارجية للورقة أو الزهرة مثلاً .

والعمل يكون كالآتى :

تخرج الإبرة عند (A) ، وتوضع في (B) ، وتخرج عند (C)، وتوضع عند (D)، وتخرج عند (E) . ثم تكرر هذه العملية كما فى (شكل ٢٤) .

ويمكن شغل هذه الغرزة على الأقمشة الشفافة أو شبه الشفافة على ظهر

القماش، وذلك يجعل الجزء المشغول غير شفاف ، أى مظلل ومحدد بدقة ونظام بغرزة النباتة عندما تراه على وجه القماش . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار مراعاة الدقة التامة فى عمل هذه الغرزة على الرغم من مظهرها البسيط .

وتستخدم هذه الغرزة على الأقمشة التالية :

الموسلين ، الأورجانزا ، الڤوال ، الكريب چورجيت ، والكريب دى شين ، وتعمل بخيط مخالف للون القماش فتظهر الرسوم بظلال جميلة . أو يمكن استخدام لون القماش، ولكن تكون درجة لون الخيط أغمق قليلاً من القماش .

وفى بعض الأحيان تستخدم هذه الغرزة على الأقمشة السميكة على وجه القماش. ولكن من الأفضل عملها على ظهر القماش ، لإظهار الظلال الجميلة التى تتميز بها هذه الغرزة .

التضريب (Quilting) :

وكان هذا النوع من التطريز سائداً فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولهذا يستعمل خط لنموذج زخرفى ، وخلال ثلاث طبقات من القماش ، والطبقة الداخلية يجب أن تكون من مادة حشو ناعمة . وفكرة الطبقات هذه من المحتمل أن أساسها كان يرجع إلى الاحتياج إلى الدفء فى الملبس . أو الاحتياج إلى حشو يلبس تحت الدرع . ومن أجل هذا نرى أن الغرز ذات طبيعة نفعية بحتة .

واستخدام هذا التطريز لعمل الأردية ، و (بونيه) الطفل الرضيع ، الچاكتات ، الوسائد والملحقات الصغيرة لمقصورة أو مخدع سيدة الدار . ولعمل (الألحفة) .

وعمل التضريب كان مناسباً فى بلاد كثيرة منذ بدئه ، والكلمة (Counter Pane) معناها "لحاف" مشتقة من الكلمة الفرنسية (Contrepointe) وهى تحريف للكلمة الفرنسية ومعناها غرزة اللحاف (quilting stitch) والزخرفة على الأغطية غالباً ما تأخذ شكل الأساطير أو الحوادث التاريخية .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الأحداث التاريخية قد نفذتها السيدات الأمريكيات اللاتى كان أجدادهن يعيشون فى الأماكن القديمة . وكن مستمرات فى

عمل هذا الأسلوب .

وقد احتفظ بأسلوب التضريب هذا فى جنوب إنجلترا وجنوب ويلز بطريقة شيقة جداً . وطبقة النساء العاملات فى بلد درهام وفى جلامورجان وكذا مقاطعة كارمارثن كن يعملن ألحفتهن مثل المنتجات الآلية .

وألحفة القرن السابع عشر لوحة (رقم ٥٩) توضح تأثير المنسوجات المصممة بطريقة جميلة ، هذه المنسوجات من الصين والهند .

والمنسوجات الرفيعة من الحرير ، الساتان ، القطن ، التيل يمكن تضريبها بنجاح. والصوف المخلوط بالقطن ، وقماش الفانيل ، والبطاطين القديمة يمكن أن تستعمل كحشو بين الطبقتين ، وللظهر يمكن استخدام القماش القطنى . ويجب تجنب الأقمشة السميكة أو الصلبة ، ذلك لإن الإبرة تمر من خلال ثلاث طبقات عند عمل كل غرزة .

وللاحتفاظ بالثلاث طبقات فى موضعها بواسطة سلسلة من الخطوط المتصلة مشغولة عبر طولها وعرضها ، ولهذا تظهر كأنها خط واحد عندما نتقدم فى عمل النموذج الزخرفى .

ولهذا الأسلوب يمكن استعمال غرزة الشلالة أو غرزة الفرع ، على أن تنفذ كل قطعة من الشغل بغرزة واحدة من الغرز السابقة . وعادة ما يستعمل لهذا الأسلوب خيط من نفس لون القماش أو أغمق قليلاً .

وبأسلوب آخر ذى تأثير أكثر نعومة ورقة يعمل التصميم بالغرز من ظهر ووجه القماش ، ثم يعمل الحشو بعد ذلك بين الطبقتين . وهذا يعمل من الظهر بإبرة ذات سن غليظ وخيط صوف ، أو نوع ناعم من القطن . ونسيج الخلف يجب أن يكون غير محبك (مرخى إلى حد ما) لكى يسمح بدخول الإبرة يتخللها عدة خيوط من خيوط الحشو . وعدد الخيوط يكون تبعاً لسمك الزخرفة ، وأيضاً تبعاً لنوع النسيج المستخدم.

وبأسلوب التضريب الأول الذى وصفناه ، فإن لون الخيط لا يساهم فى تأثيره وفاعليته . ولكن فى الأسلوب الثانى نجد أن اللون يلعب دوراً خيالياً . ونماذج

التضريب على المنسوجات الحريرية والشفافة يمكن حشوها بأشرطة من صوف ملون واضح بدرجة كبيرة وهذا من شأنه أن يصبح لوناً رقيقاً عندما يحجب بالنسيج الشفاف ، وفكرة الحشو الملون هذه أتت من الفرس .

و(شكل ٢٥) يتضح فى المراحل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ والمرحلة الرابعة هى النتيجة الأخيرة . وفى المرحلة (١) نجد القماش حاملاً الرسم .

ويجب أن يوضع فى الإعتبار أن تكون صبغة خيوط الحشو ثابتة .

غرزة السلسلة (Chain stitch) :

لقد عرفت غرزة السلسلة من زمن قديم يرجع إلى العصر الفرعونى ، على أن هذه الغرزة وجدت فى المنسوجات المطرزة فى العصر العثمانى .

وغرزة السلسلة من أبسط أنواع الغرز . ويكون عملها كالآتى :

تبدأ الغرزة من اليسار إلى اليمين بتثبيتها فى ظهر القماش ثم تخرج عند أول الخط المراد تطريزه ومن نفس النقطة وعلى بعد ٤ فتلات تقريباً تبدأ أول غرزة ويكون الخيط أسفل الإبرة ، ثم تجذب الإبرة ، وفى الغرز التالية توضع الإبرة دائماً عند النقطة التى خرجت منها آخر كل مرة . وإذا كان العمل متقناً فإن ظهر النسيج يظهر بغرزة النباتة . وتتضح فى الثلاثة صفوف فى المستطيل الأيمن من (شكل ٢٦) .

وقد تطورت غرزة السلسلة إلى غرز حديثة ذات شكل جميل ، وسميت بعدة أسماء ، سأوضحها فيما يلى :

السلسلة المتعرجة (Zigzag Chain) :

وفى هذه الغرزة بدلاً من عمل غرزة السلسلة على خطوط مستقيمة ، تكون فى وضع مائل بحكمة بين سطرين ، وتشير الإبرة من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار و (الشكل ٢٦) يوضح الإبرة مخترقة خيط الحلقة الأخيرة بدلاً من إدخالها بالطريقة العادية لغرزة السلسلة . ومراعاة الدقة بين المسافات يجعل الغرز متناسقة . .

السلسلة المنوعة (Chequered Chain) :

وتسمى أيضاً السلسلة السحرية (Magic Chain) وهذه تعمل بحلقات من الألوان المختلفة . ولعملها تلضم الإبرة بخيطين كل خيط بلون مخالف للآخر - وعلى سبيل المثال يستخدم اللون الرمادى واللون الأبيض - ثم تغرز الإبرة بالخيطين فى القماش على الخط المرسوم ، وعند البدء يترك الخيط الرمادى جانباً ، وتعمل غرزة السلسلة بالخيط الأبيض ، ثم نأخذ الخيط الرمادى ونعمل غرزة وفى هذه المرة يترك الخيط الأبيض جانباً . بعد ذلك يستخدم الخيطان بالتناوب . وبعد الانتهاء من هذه الغرزة تظهر لنا غرزة السلسلة بشكل جميل (شكل ٢٦) .

السلسلة المزدوجة (Double Chain) :

وفى غرزة السلسلة هذه يتكون لنا شريط جميل ويمكن استخدامه كإطار ولعمل هذه الغرزة يتبع الآتى :

تغرز الإبرة فى القماش ثم تخرج من (A) ، ثم توضع فى (B) على الجانب المواجه، ثم تخرج عند (C) ويجعل الخيط موضوعاً أسفل الإبرة تجذب الإبرة فى الاتجاه إلى أسفل ويكون الخيط إلى اليسار وتعمل غرزة مشابهة على الجانب المواجه ويوضع الخيط أسفل الإبرة ثم تعمل غرزة فى الجانب الآخر مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار بالتناوب . ويجب مراعاة الدقة فى أن تكون أطوال الغرز متساوية (شكل ٢٦).

السلسلة المفتوحة (Open Chain):

وتسمى أيضاً السلسلة المربعة (Square Chain) . وللعمل يتبع الآتى :

تغرز الإبرة فى القماش ثم تخرج عند (A) ، توضع فى (B) على الجانب المواجه، ثم تخرج من (C) بجعل الخيط موضوعاً من اليسار إلى اليمين تحت الإبرة - ولا تكون الغرزة محكمة - ثم توضع الإبرة فى (D) - ويكون الخيط فى كل مرة أسفل الإبرة - ثم تخرج عند (E). ويكون العمل بالتناول مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار.

وهذا يتضح فى (شكل ٢٦) .

غرزة العروة او غرزة البطانية (Button-hole or Blanket stitch) :

وهى من الغرز البسيطة جداً ، وبصفة عامة فهى من أكثر الغرز فائدة لأنها تؤدى أغراضاً كثيرة . وقد وجدت هذه الغرزة فى التطريز فى العصر العثمانى .

وفى (شكل ٢٧) تتضح غرزة العروة (يجب أن لا يخلط بينها وبين الغرزة المستعملة لعمل عراوى الأزرار) . ويطلق على هذه الغرزة إسم غرزة الفستون إذا أخذت شكلاً منحنياً . ولعمل هذه الغرزة يتبع الآتى :

يعمل سطر من غرزة السراجة أسفل الغرزة . ثم تبدأ الغرزة من اليسار إلى اليمين ويكون اتجاه الإبرة من أعلى إلى أسفل . تثبت الإبرة فى ظهر القماش ثم تخرج عندها (A) ثم توضع فى (B) ويكون الخيط أسفل الإبرة وينتج عن هذا (عقدة) وتكون الغرز متساوية وبجانب بعضها البعض .

والاختلاف بين غرزة العروة وغرزة البطانية أنه فى غرزة البطانية تترك مسافة بين كل خط وآخر بحيث لا تكون الغرز متلاصقة .

وقد تطورت غرزة البطانية إلى غرز حديثة ذات شكل جميل سأوضحها فيما يلى: (شكل ٢٨ أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) .

(١) وهنا نجد أن الغرز مائلة لكى تكون (صلباناً) والإبرة تظهر فى وضع فى الزاوية المطلوبة للغرزة الأولى ، أما الغرزة الثانية فيجب أن تكون مائلة فى الاتجاه المضاد أو المواجه .

(٢) وهذه مجموعة من ثلاث غرز . والغرزة الأولى تكون الإبرة مائلة من اليسار إلى اليمين والثانية رأسية والثالثة تكون الإبرة مائلة من اليمين إلى اليسار .

(٣) وهذه توضح غرزة البطانية العادية فى اتجاه رأسى بغرزة طويلة وغرزة قصيرة بالتبادل .

(٤) يعمل أولاً خط من غرز البطانية ويكون بين الغرزة والأخرى اتساع ، ويتبع

هذا الخط خط آخر أسفل الخط الأول تماماً وتعمل غرزتين بين كل من الغرزتين السابقتين . واستعمال لونين يعطى التأثير المطلوب .

(٥) وهنا تعمل غرزتان من غرزة البطانية ثم تترك مسافة وتعمل غرزتان وهكذا، وبعد ذلك يمرر من أسفل خيوط من لون آخر .

(٦) والغرزة هنا مكونة من ثلاث غرز طويلة من غرزة البطانية وثلاث غرز قصيرة ، ثم (تدكك) هذه الغرز بخطين من لون آخر .

(٧) فى هذه الغرزة تعمل غرز البطانية بحيث تكون كل غرزة بعيدة عن الأخرى بعداً كافياً لكى تسمح لمجموعة أخرى من الغرز بأن توضع بينها ، فى المرة الأولى تكون (العقد) إلى أسفل وفى المرة الثانية تكون (العقد) إلى أعلى . ويستخدم لونان من الخيوط .

(٨) وهنا تعمل غرزة البطانية بأربعة خطوط (بعقدة) إلى أسفل ، وأربعة خطوط بعقدة إلى أعلى . ويمكن استخدام لونين من الخيوط فتعطى تأثيراً جميلاً . وبأسلوب حديث يتضح فى (شكل ٢٩) بعض أوراق الأشجار مطرزة بغرزة البطانية أيضاً بطريقة زخرفية جميلة .

مما تقدم يتضح لنا أن غرزة البطانية البسيطة الشكل أمكن تطويرها إلى أشكال عديدة وجميلة .